البحوث العامّة

آيَةُ المُبَاهَلَةِ
مُقَارَبَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ

م.م. خير الدّين علي الهادي سليمان

جامعة الحمدانية

كلية التربية

khairulden.a@uokerbala.edu.iq

أ.د. حسن عبدالغني الأسدي

جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الإنسانية

hjawad201421@gmail.com

Ayet Al-Mubahalah (Verse of Cursing)، a deliberated approach

Assoc. Prof. Khairul-Deen Ali Alhadi Solaiman
University Of Al-Hamdaniya
College of Education
Prof. Hasan Abdul-Ghani Alasadi
University of Karbala
College of Education for Human Sciences

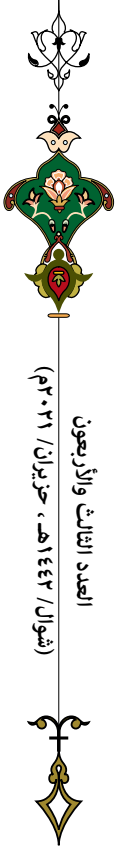

ملخص البحث

لا يخفى أن التداولية تهتمّ بوصف البنى اللّغوية وتفسير امتداداتها الاجتماعيّة لاستحضارها المقام بأوسع مفاهيمه، فلم تكن علمًا لغويًا محضًا، بل هي علم للتواصل الإنساني؛ لذا فبعض تسمياتها كانت: (علم الاستعمال اللّغوي). وهي تتعالق بعلوم إنسانية متعددة كعلوم الاجتماع، والنفس والفلسفة وعلوم اللغة المختلفة وغيرها. وتعالقت مع الخطاب لتكوّن لها امتدادات تحليلية مترامية الأطراف. والتداولية وإن تأسست على الأداء والخطاب ما اقتضى أن تكون مادتها التحليلية أشبه بالمسرح اللغوي بأركانه اللغوية الصرفة وغير اللغويّة (المتكلم والمخاطب والزمان والمكان، وما يتصل بها) ما جعلها غير ناجعة في تحليل النصوص لافتقارها للأبعاد غير اللغوية، فإنّ فيها ما يمكن أن يوظّف في إحداث مقاربة تداولية مع آيات القرآن الكريم، تتأسس على أن تلك الآيات حُفّت بروايات عرفت بـ(أسباب النزول) اشتملت على جوانب تفصيلية تلقي الضوء على أبعاد تداولية للآيات موضع البحث؛ فمن ههنا كانت مقاربتنا هذه مع آية المباهلة وهي الآية الإحدى والستّون من سورة آل عمران.

ولا يخفى أنّ دراستنا تستبطن بسببٍ من الطبيعة الروائية وتعدّدها أن نستجلي الرواية التي تنسجم بأجوائها اللغوية والمقامية مع أجواء الأجواء اللغوية التي ترسمها الآية والآيات التي تقترن بها لغةً وموضوعًا. فيتسنى لنا الحكم على ما رُوي قبولا ورفضًا.

كما لا يخفى أن آية المباهلة أوجدت واقعا إسلاميّا مهمًا للمسلمين ولغير المسلمين يتركّز في إظهار خصوصيّة إلهية كبرى لنبيّنا الكريم وآله الطاهرين أنهم محل كرامة إلهيّة لإيقاع العذاب بالمعاندين ممن يأبى التسليم لنتائج الاحتجاج والحجاج التي بيّنها النبيّ صلوات الله عليه وآله في دعوته لأهل الكتاب للدخول إلى شريعته.

ويعتمد البحث في مباحثه توظيف المسارات التداولية في درجاتها المتنوعة وهذه المسارات هي (الإشاريات، ومتضمنات القول، والحجاج، والاستلزام الحواري، وأفعال الكلام). لكن البداية أي المبحث الأول ستكون مع روايات أسباب النزول المتعلقة بالآية الكريمة بينما ستكون تلك المسارات مادة للمبحث الثاني. ويسبق المبحثين تمهيد، ويختم البحث بأهم النتائج.

Abstract

It is obvious that (deliberation) cares for linguistic structure and explaining its social extensions as it calls for context within its widest concepts. It is، however، not and absolute linguistics، rather than a science for human communication. For this، it is sometimes called (science of linguistic usage) . Moreover، it deals with different human sciences like sociology، psychology، philosophy، different types of linguistics and others . It، also، deals with discourse as it forms wide analytic extensions .

As deliberation was established on discourse and performance، its analytic material seems to be a linguistic theater with its pure linguistic and non-linguistic pillars (i.e) (speaker، second person [addressee]، time، place and anything related to them) . That shows it unsuccessful to analyze texts since it lacks for non-linguistic dimensions. On other hand، it includes what could be employed to make a deliberated approach with verses of the Holy Qur'an، never the less، those verses were surrounded with narrations known as (Reasons of revelation) . Hence it included elaborated sides that shed light on the deliberated dimensions of the verses dealt with in this thesis. For this our delibration deals with the verse of Al-Mubahala (cursing) which is the sixty-

first of surat Al-Omaran (the Omarans) (3:61).

Our study is penetrated for its narrative nature، and how we deal with narration in a way that its linguistic and contextual spheres harmonize with the linguistic spheres the very verse and the verses، related to it linguistically and in subject، draw . As a result we can judge whether the narrations are accepted or refused.

It is، also، clear that the verse of Al-Mubahala created an important Islamic situation for Muslims and non-Muslims. That is، showing and concentrating on the great divine specialty to our honourable Prophet and his pure progeny as they are of divine dignity and torturing the resisting who refuse confessing the results and the proofs of pleading that the Prophet (p.b.u.h) explained to the people of the Book to convert to his religion (law).

In its topics the thesis depends on employing the deliberated approach with its three degrees (i.e) (references، meaning of saying، proofs، obligatory dialogue and effects of speech). But firstly، we start with narrations of reasons behind revelation that are related to the very honorable (verse)، while the second topic deals with those approaches. Surely، the two topics are preceded by a preface and finally the main conclusions are definitely mentioned

تمهيد

تهتم التّداولية، بالعملية التواصلية وأطراف المتكلّم ومقاصده، بوصفه مُحرِّكًا لعملية التواصل، وتراعي حال السّامع في أثناء الخطاب، كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجيّة المحيطة بالعمليّة التواصليّة، ضمانا لتحقيق التواصل من جهة، ولاستثمارها في الوصول إلى غرض المتكّلم وقصده من كلامه من جهة أخرى. فالتداولية علم للتواصل، وتهدف إلى معالجة كثيرٍ من الظواهر اللغوية وتفسيرها، في ظل مُناخ مناسب لحلِّ مشاكل التواصل، عبر اتّساع نظرتها إلى مجالات العلوم المختلفة كعلم الاجتماع، وعلم النفس، واللسانيات المعرفية، وعلوم الاتصال، والفلسفة التحليلية، وغيرها من العلوم[1]، وتستند التداولية إلى كثير من مكاسب المعرفة الإنسانية المختلفة، مّا أكسبها طابع التّوسع والثراء في مُعالجاتها المختلفة للغة.

وأما عن تعريفها واستعمالها علمًا لسانيًّا فقد كان على لسان الفيلسوف (تشارلز موريس ١٩٣٨) الذي قدم لها تعريفًا يحدد سياقها العام، إذ قال: (التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات)[2].

فالتداولية: المقصود بمجال التداول في التجربة التراثية، هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث، وفقًا لمعطيات سياقية واجتماعية معينة، وتكمن أهميتها على وفق ما قاله مسعود صحراوي: (بإيجاد القوانين الكلية للاستعمال والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصدير التداولية، من ثمَّ جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي)[3]، وتبحث التداولية في مجال مهم وكبير وتتمركز حول اكتشاف

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، لمحمود أحمد نحلة: ١٠-١١.

(٢) ينظر: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينيكو، ترجمة سعيد علوش: ١٢.

(٣) التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي: ١٥.

السامع لمقاصد المتكلم، أو تحاول دراسة ذلك المعنى للوصول إلى غايته[١]، وبذلك تتعدى حدود البنية اللغوية، لتبحث في الأقوال وبيان العلاقة بين المخاطِبين والمخاطَبين وفي سياق محدود، لبيان عناصر الخطاب الذاتية، كالضمائر والمبهمات الزمانية والمكانية، وكذلك توضيح إشارات التلميح والتصريح، وضبط القوانين الخاصة بالحجاج، وإعطاء تفسيرات مناسبة ودقيقة عن الأقوال التي ينتجها المتكلم ومعرفة غاياته.

وينبغي أن نشير إلى أن التداولية ترتكز كثيرًا على السياق، والسياق يتألف من مجمل الظروف الاجتماعية التي تسهم في دراسة العلاقات بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللساني؛ بل هي المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي والأوضاع الثقافية والنفسية والتجارب والمعارف الشائعة بينهما[٢]، ومظاهر السياق تؤخذ بالحسبان في عموم عملية التواصل، ومعظم النظريات التي انبثقت من التداولية قائمة على السياق، حتى أضحى هذا التصور الخطوة الأولى في تنظيم وهيكلة النظريات التداولية[٣]، ومن هنا يمكن القول بأن التداولية تيار ومنهجٌ مهم في تحليل الخطاب وبحثها، وتبحث عن كل شيء يمكن أن يقرِّب الفهم والتواصل بين المتكلم والسامع.

لقد قسم علماء اللغة التداولية على درجات أو أقسام ثلاث على وفق العمق الذي تتناوله، وهي على النحو الآتي:

١- تداولية الدرجة الأولى:

دراسة الرموز الإشارية: وتعنى بالعلامات الإشارية مثل(أنا، هنا، نحن) التي تتجلى في الأقوال وتتضح مرجعيَّتها في سياق الحديث، ولا تتحدد إحالات هذه الرموز

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٢.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

إلا من السياق الذي تُوظّف فيه وتتضح أكثر في إطار العلاقة بين المتخاطبين والزمان والمكان، فالضمائر وإشارات الزمان والمكان تختلف إحالتها حسب ظروف استعمالها.

٢- تداولية الدرجة الثانية:

المعنى الحرفي والمعنى التواصلي: وتعنى هذه المرحلة بدراسة الدلالة الضمنية للقول، وذلك بتجاوز المعنى الحرفي، ويتوسع بذلك مفهوم السياق من سياق الموضع وكشف الإحالات والمنفذين إلى سياق الحدس عند المخاطبين، وتسعى بذلك لرفع الإبهام في الجمل حتى من دون وجود الإشاريات؛ لأنها تعتمد على السياق[١]، وتحاول تداولية المرحلة الثانية معرفة انتقال الدلالة من المستوى السطحي إلى المستوى التلميحي، وتقوم على الافتراض المسبق والأقوال المضمرة والحجاج، وأما السياق فيخضع لظاهرة التماهي عند المخاطبين جميعًا[٢].

٣- تداولية الدرجة الثالثة:

نظرية أفعال الكلام: وتعنى هذه المرحلة بالنظريات التي تدرس أفعال الكلام، وتقوم أساساً على أنّ الأقوال الصادرة في ضمن وضعيات معينة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية[٣]، وتختلف هذه الأبعاد بحسب طبيعة أغراضها التي تُحققها من الإنجاز اللغوي، وبها يُعاد تصنيف الأفعال وفقًا للأفعال الخارجية، والآثار التي تتبع إطلاقها.

(١) ينظر: المقاربة التداولية: ٥١.
(٢) ينظر: تحليل الخطاب المسرحي: ١٣.
(٣) ينظر: المصدر نفسه.

المبحث الأول

آية (المباهلة) سورة آل عمران

سياقاتها دلالاتها والروايات في أسباب نزولها

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[١].

قبل الشروع بسرد الروايات التي نُقلت في أسباب نزول هذه الآية المباركة، لابدّ أن نذكر بعض ما يتعلق بالسياقات الدلالية واللغوية لها، وكشف علاقتها ببقية الآيات التي تسبقها، أو التي تأتي بعدها في ضمن سياقها، ثم ننتقل بعد ذلك إلى رواياتِ سبب نزولها وبيان الأوجه التفسيرية لها، باعتبار الانسجام الحاصل في الخطاب وطبيعته اللغوية والدلالية.

يبتدئ جوّ الآية في هذه السورة في أوائلها، ولا سيما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[٣]، ثم قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٤.

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[1]، إذ تشير الآية إلى الدعوة إلى الله تعالى وإلى المحاجّة بأسلوب هادئ والوعد بالحسنى، والإشارة إلى التخيير في الأمر، ثم تأتي بعد ذلك آية وجوب طاعة الله ورسوله، وبيان الموقف من الكافرين، إذ قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2]، وزاد على ذلك سبحانه وتعالى بعد ذلك بالإشارة إلى الأصفياء من عباده، فقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3]، وفي الآية إشارة إلى الذرية الصالحة للأنبياء، وأن بعضهم من البعض الآخر، ثم ذكر الله تعالى قصة امرأة عمران عليه السلام واصطفاء مريم عليها السلام، وخطاب الملائكة معها، إذ قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[4]، ثم ولادتها للسيدة مريم عليها السلام، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[5]، ومن ثَم ولادة مريم عليها السلام لعيسى روح الله عليه السلام، وبيان كونه رسولاً إلى بني إسرائيل، إذ قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[6]، وقال تعالى على لسان عيسى عليه السلام في خطابه إلى بني إسرائيل: ﴿ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.
(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٣-٣٤.
(٤) سورة، آل عمران، الآية: ٣٥.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾[1]، ثم أشار القرآن إلى أن عيسى عليه السلام أحسَّ منهم الكفر فذكر القرآن: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾[2]، وبيَّنت الآية خطورة الأمر وتصدي الحواريين للكفار بنصرهم لله ورسوله (عيسى عليه السلام)، وبعد ذلك أشار القرآن إلى انتهاء تكليف عيسى عليه السلام، وإنهاء أجله، فقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ﴾[3]، وفي الآية تبيان لانقسام الناس على فريقين – فريق آمن بعيسى عليه السلام وآخر كفر به وبدعوته فوصفهم الله تعالى بالكافرين، وختم الله تعالى بعد ذلك ببيانه عن نبيه عيسى عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[4]، وهذه الخاتمة التي ذكرها القرآن كان فيها إشارة إلى تصاعد وتيرة الاحتجاج وبوضوح، ورغبة، فانتهى الأمر بعد ذلك بآية المحاجَّة، وردع المحاججين.

قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾

بداية الآية المباركة جاء تفريعاً على ما تقدمها من الآيات المباركة السابقة لها، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾.

فقدِ اتسقت الآيات وتكاملت لبيان حقيقة عيسى عليه السلام، والضمير في (فيه) يرجع إما

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.
(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٥٩-٦٠.

إلى عيسى عليه السلام، أو إلى (الحق)، المذكور في الآية السابقة، الذي هو أقرب لفظاً[1]، والمحاجَّة: بمعنى تبادل الاحتجاج، وهي تستعمل في الحق وغيره، كما حصل في هذا المقام بين النبيِّ ﷺ وبين النصارى في عيسى عليه السلام، زاعمين أنه إله أو ابن الله، باعتباره وُلِدَ من غير أب[2]، وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم في أكثر من آية بيِّنة، إذ قال تعالى:

١- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[3].

٢- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾

في هذا المقطع القرآني المبارك إشارة إلى تطييب نفس النبيِّ ﷺ بأنّه على العلم المطابق للمواقع والحق المبين، ووعدٌ منه سبحانه وتعالى على نصره، وأنه لن يخذله في المواطن، وبيانٌ يشير إلى أن ما عند النبيِّ ﷺ من العلم هو الحقّ الذي لا ريب فيه، فلا ينبغي التردد في المحاجَّة والمجادلة على الحق، والمراد من العلم: هو الحاصل من البراهين عن طريق الحسِّ، أو عن طريق العقل، أو عن طريق الوحيِ الإلهي، فان الجميع يتفق على أن المخلوق الممكن المربوب لا يمكن أن يكون إلها وربًّا؛ بل إن الله واحد لا شريك له[5].

قوله تعالى: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾

تعال: فعل أمرٍ يدل على طلب الإقبال من مكان مرتفع، ثمّ استعمل في مطلق

(١) ينظر: تفسير مواهب الرحمن، للسيد عبد الأعلى السبزواري: ٦/ ٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٥) تفسير مواهب الرحمن، للسيد عبد الأعلى السبزواري: ٦/ ٤.

طلب المجيء توسّعًا[1]، أي أقبلوا بثبات وعزيمة.

والخطاب هنا موجه إلى الرسول ﷺ بالمحاجَّة لقطع كل عذرٍ، ودفعاً لكل ضلالة، وفيه مواجهة حاسمة مع من ينكر الرؤية الإسلامية البشرية لعيسى عليه السلام، لاسيّما أفكار النصارى الذين أنكروا قول الله تعالى على لسان نبيِّه، وقالوا في عيسى عليه السلام ما لا يليق به، والإشارة في واو الجماعة (تعالوْا) موجه إلى الجماعة التي ادَّعت ذلك وهم نصارى نجران، وأصل هذا الخطاب دعوةُ التباهل إلى الله عزّ وجلَّ لمعرفة المحق من المبطل، وهذا أمرٌ لابد منه لحفظ الحق من الضياع، وإتماما للحجة على العباد، وصونًا للمؤمن ومقامه في الحياة، والحاق الخزي والعار بأعدائه وهم الذين على الباطل والضلال.

والمخاطَب في (ندعُ) هو المتكلم مع الطرف الآخر، ممن يراد المحاجَّة معه، وفي هذا المقام هم (نصارى نجران)، ومراده هو أن يدعو كلٌ منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه، والمباهلة وإن كانت بين النبيِّ ﷺ وبين نصارى نجران، إلا أنّها عمَّت لتشمل من جاء ذكره في الآية المباركة، من الأبناء والنساء والأنفس، وذلك لأمور عدة[2]:

١- أن للاجتماع خصوصيّة في الظفر على المطلوب والنيل بالمحبوب، ودعاء الجمع أقرب إلى الله وأكثر استجابة وقد ورد تأكيد ذلك في الأثر الشريف، إذ قال ﷺ: «**يد الله مع الجماعة**»[3].

٢- الآية ترشد الإنسان إلى أن إظهار الحق أعظم من كل ما يرتبط بالإنسان، ويبيِّن أنه ينبغي على الفرد أن يسعى إلى إحقاق الحق، وأن لا يثبطه في ذلك الأهل والعشيرة والشرف؛ بل يفدي بكلهم دون ذلك.

٣- الآية تشير إلى أن المباهلة من الأمور النوعية والاجتماعية، فلا بد من الاجتماع

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ): ٢/ ٢٦٥.
(٢) ينظر: تفسير مواهب الرحمن: ٦/ ٦.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ١٠/ ٢٨٠.

فيه لإتمام الحجة وإيضاح المحجة.

٤- الإعلام بأن الداعي مطمئن باستجابة الدعاء، وصدق دعواه، ولذلك يقدم من هو أقرب الناس إليه.

٥- الآية إشارة إلى أن من خرج مع النبيِّ ﷺ لمحاجَّة النصارى، كانوا على درجة عظيمة من الشرف والكمال، وأنهم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ.

ولقد اتضح من سياق الآية من كان مع الرسول ﷺ فهم بحسب الآية: ﴿نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ﴾، فأما الأبناء فكانوا (الحسن والحسين عليهما السلام) والنص خاصٌّ فيهما، وأما النساء فكانت الزهراء عليها السلام، وأما (أنفسنا) فقد تمثل في أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام[1]، والآية المباركة ليست في مقام تكثير الأفراد في الأبناء والنساء والأنفس، بل هي ظاهرة في مقابلة الجمع بالجمع، سواءً أكان مشتملا على الكثرة أم لا[2].

قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ﴾

الأنفس جمع نفس: وهي تطلق تارة ويراد بها الروح، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾[3].

وأخرى: يراد بها الذات أو الشخص، إذ قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[4]. وهذا المعنى المعنيّ في هذا المقام، والمقصود بها نفس النبيِّ ﷺ، وهو بمنزلته في العلم والعمل والقضاء بالحق، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام[5].

(١) ينظر: كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٢/ ٣٤، تفسير القمي: ١/ ١٠٤.

(٢) ينظر: تفسير مواهب الرحمن: ٦/ ٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر

قوله تعالى: (ثمَّ نبتهل): مادة (بهل) تدل على شدة الاجتهاد والاسترسال في الأمر المطلوب، (ونبتهل): افتعال بمعنى المفاعلة، أي يدعو بعضنا على بعض باللعن.

قوله تعالى: ﴿فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾

في هذا المقطع من الآية المباركة بيانٌ للمباهلة، والمراد منه اللعنة والنكال والعذاب مطلقًا، ومنه البعد عن رحمته تعالى، والمراد بالكاذبين هم الذين افتعلوا الباطل في شأن عيسى عليه السلام، فيكون اللام للعهد، أي الكاذبين من أحد طرفي المباهلة الواقعة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين النصارى[1].

أسباب نزول الآية:

تعددت الروايات في أسباب نزول الآية – آية المباهلة – ودارت حول قضية رئيسة مفادها التداول الذي كان بين النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من جهة وبين نصارى نجران من جهة أخرى، ومن بين أهم الروايات في أسباب النزول الآتي:

الرواية الأولى:

ذكر مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ) رواية في تفسيره جعل من الحاضرين مع النبيِّ صلى الله عليه وآله أهل بيته عليهم السلام وزاد عليهم بعض زوجات النبي صلى الله عليه وآله في مباهلة النصارى، إذ قال: (إنَّ وفد نصارى نجران قدموا عَلَى النَّبِيّ – صلى الله عليه وآله – بالمدينة منهم السيد والعاقب، والأسقف، والرأس، والحارث، وقيس، وابنيه وخالد، وخليد، وعَمْرو، فَقَالَ السيد والعاقب وهما سيدا أَهْل نجران: يا محمد لَمْ تشتم صاحبنا وتعيبه؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله: «**مَا صاحبكم**»؟ قَالُوا: عِيسَى ابْن مريم العذراء البتول. قال:

الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): ٨/ ٢٤٧.

(١) ينظر: مواهب الرحمن ٦/ ٩.

أبو محمد عبيد الله بن ثَابِت. قَالَ: العذراء البتول. المنقطعة إلى الله - عَزَّ وَجَلّ - لقوله - عَزَّ وَجَلّ - ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾[1] قَالُوا فأرنا فيما خلق الله عبدا مثله يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين طيرا وَلَمْ يقولوا بإذن الله. وكل آدمي لَهُ أب وعيسى لا أب لَهُ فتابعنا فِي أن عِيسَى ابن الله ونتابعك. فإما أن تجعل عِيسَى ولدا وإما إلها، فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله: «**مُعَاذ الله أن يَكُون لَهُ ولد، أَوْ يَكُون معه إله**». فَقَالا للنبي ﷺ: أَنْت أَحْمَد؟ فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**أَنَا أحمد، وأنا محمد**». فَقَالا: فيم أَحْمَد؟ قَالَ: «**أَحْمَد الناس عن الشرك**». قَالا: فإنا نسألك عن أشياء. قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**لا أخبركم حَتَّى تسلموا فتتبعوني**». قَالا: أسلمنا قبلك. قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**إنكما لَمْ تسلما حجزكما عن الْإِسْلام ثلاثة أكلكما الخنزير، وشربكما الخمر، وقولكما إنّ لله - عَزَّ وَجَلّ - ولدًا**»، فغضبا عِنْد ذَلِكَ. فَقَالا: من أَبُو عِيسَى؟ ائتنا لَهُ بمثل فأنزل الله - عَزَّ وَجَلّ - ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ هَذَا الذي قَالَ الله فِي عِيسَى هُوَ ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ يا محمد يعني من الشاكين فِي عِيسَى أن مثله كمثل آدم. فقالوا للنبي ﷺ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُ، ما هذا له بمثل. فأنزل الله عَزَّ وَجَلّ: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾ يعني فَمنْ خاصمك فِي عِيسَى ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ يعني من البيان من أمر عِيسَى يعني ما ذكر فِي هَذِهِ الآيات ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾ يعني نخلص الدعاء إلى الله عَزَّ وَجَلّ: ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا ﴾ الَّذِي ذكرته فِي عِيسَى ﴿ لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ ﴾ وَالَّذِي تقولون هُوَ الباطل ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ فِي ملكه ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فِي أمره حكم عِيسَى فِي بطن أُمّه ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ يعني فَإِن أبوا إِلَّا أن يلاعنوا ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ في الأرض بالمعاصي. قَالَ الله عَزَّ

(١) سورة المزمل، الآية: ٨.

وَجَلّ: ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾ يعني كلمة العدل وهي الإخلاص ﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ من خلقه ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ لأنهم اتخذوا عِيسَى ربا ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ يعني فإن أبوا التوحيد ﴿ فَقُولُوا۟ ﴾ لهم أنتم ﴿ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ يعني مخلصين بالتوحيد فَقَالَ العاقب: ما نصنع بملاعنته شيئا، فو الله لئن كان كاذبا ما ملاعنته بشيء، ولئن كان صادقا لا يَأْتِي علينا الحول حَتَّى يهلك الله الكاذبين.

قَالُوا: يا محمد نصالحك عَلَى ألا تغزونا وَلا تخيفنا وَلا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك ألف حلة فِي صَفَر، وألف حلة فِي رجب. وعلى ثلاثين درعا من حديد عادية. فصالحهم النَّبِيّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: وَالَّذِي نفس محمد بيده، لولا عنوني ما حال الحول، ويحضرني منهم أحد ولأهلك الله الكاذبين. قَالَ عُمَر - بن الخطاب -: لو لاعنتهم بيد من كُنْت تأخذ. قَالَ: (آخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وحفصة وعائشة)[1]. وهذه الرواية تتفق مع الروايات الواردة بخصوص نزول هذه الآية في وحدة الموضوع، وقريبة إلى عصر الآية، وأشارت بوضوح إلى عدم استسلام النصارى ببشرية عيسى عليه السلام، إلاّ إنها زادت بعض التفاصيل التي قد تنفرد بها، ومن ذلك أنهم حاجُّوا النبي ﷺ، في اسمه، وهذا غريبٌ عن جنس الموضوع، ثم انفردت الرواية بزيادة بعض زوجات النبي صلى الله عليه وآله إلى محضر المباهلة وهذا يتناقض مع الروايات الأخرى، وفيها بعض الأخطاء التي قد تكون مطبعية، أو بسبب نقل الرواة، ومنها: (ما صاحبكم والصحيح من صاحبكم)، وكلمة (مُعاذ والصحيح مَعاذ)، وغير ذلك أيضًا، لذلك يصعب اعتمادها.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت١٥٠هـ)، عبد الله محمود شحاته: ١/ ٢٧٨-٢٨٠.

الرواية الثانية:

ذكر علي بن إبراهيم القمي (ت٣٢٩هـ) رواية في أسباب نزول آية المباهلة، قال فيها: (حَدَّثَنِي أَبِي عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنِ ابْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «أَنَّ نَصَارَى نَجْرَانَ لَمَّا وَفَدُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَكَانَ سَيِّدُهُمُ الْأَهْتَمَ وَالْعَاقِبَ وَالسَّيِّدَ وَحَضَرَتْ صَلَاتُهُمْ فَأَقْبَلُوا يَضْرِبُونَ بِالنَّاقُوسِ وَصَلُّوْا، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله هَذَا فِي مَسْجِدِكَ - فَقَالَ دَعُوهُمْ فَلَمَّا فَرَغُوا دَنَوْا مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقَالُوا إِلَى مَا تَدْعُونَ، فَقَالَ إِلَى شَهَادَةِ (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ - وَأَنَّ عِيسَى عَبْدٌ مَخْلُوقٌ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيُحْدِثُ) قَالُوا فَمَنْ أَبُوهُ فَنَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ قُلْ لَهُمْ مَا تَقُولُونَ فِي آدَمَ عليه السلام أَكَانَ عَبْدًا مَخْلُوقاً يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنْكِحُ - فَسَأَلَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَقَالُوا نَعَمْ، فَقَالَ فَمَنْ أَبُوهُ فَبُهِتُوا فَبَقُوا سَاكِتِينَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ الْآيَةَ وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَبَاهِلُونِي فَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا أُنْزِلَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْكُمْ - وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا نَزَلَتْ عَلَيَّ، فَقَالُوا أَنْصَفْتَ فَتَوَاعَدُوا لِلْمُبَاهَلَةِ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ - قَالَ رُؤَسَاؤُهُمُ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ وَالْأَهْتَمُ إِنْ بَاهَلَنَا بِقَوْمِهِ بَاهَلْنَاهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيٍّ - وَإِنْ بَاهَلَنَا بِأَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً فَلَا نُبَاهِلُهُ - فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا وَهُوَ صَادِقٌ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَمَعَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام، فَقَالَ النَّصَارَى مَنْ هَؤُلَاءِ؟ - فَقِيلَ لَهُمْ هَذَا ابْنُ عَمِّهِ وَوَصِيُّهُ - وَخَتَنُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهَذِهِ بِنْتُهُ فَاطِمَةُ وَهَذَانِ ابْنَاهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام، فَعَرَفُوا وَقَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله نُعْطِيكَ

الرِّضَى فَاعْفُنَا مِنَ الْمُبَاهَلَةِ، فَصَالَحَهُمْ رَسُولُ اللهﷺ عَلَى الْجِزْيَةِ وَانْصَرَفُوا»[1].

وهذه الرواية قريبة أيضًا إلى عصر الرواية، ومنقولة عن الإمام الصادقعليه السلام، وأكدها صاحب تفسير الصافي الذي نقلها عن الإمام الكاظمعليه السلام عن أبيه الإمام الصادقعليه السلام، وهي تتناغم مع جوّ الآية كثيرًا، مع أنها ركزت على أبرز تفاصيل الحادثة دون تفاصيلها الكثيرة التي نقلتها بعض المصادر الأخرى[2].

ولعل هذه الرواية هي الأوثق واعتمدها من جاء بعده.

الرواية الثالثة:

ذكرها أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ) في كتابه دلائل النبوة: (قَالَ يُونُسُ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ: أَنَّ رَسُولَ اللهﷺ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِ (طس) سُلَيْمَانَ بِسْمِ إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ: «**مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهﷺ إِلَى أُسْقُفِ نَجْرَانَ، وَأَهْلِ نَجْرَانَ: إِنْ أَسْلَمْتُمْ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللهَ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْجِزْيَةُ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ بِحَرْبٍ وَالسَّلَامُ**». فَلَمَّا أَتَى الْأُسْقُفَ الْكِتَابُ وَقَرَأَهُ فَظِعَ بِهِ وذعره ذعرًا شديدًا، فبعث إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ يُقَالُ لَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ وَدَاعَةَ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ هَمْدَانَ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُدْعَى إِذَا نَزَلَتْ مُعْضِلَةٌ قَبْلَهُ، لَا الْأَيْهَمُ، وَلَا السَّيِّدُ، وَلَا الْعَاقِبُ، فَدَفَعَ الْأُسْقُفُ كِتَابَ رَسُولِ اللهﷺ إِلَى شُرَحْبِيلَ، فَقَرَأَهُ فقال للأسقف: يَا أَبَا مَرْيَمَ! مَا رَأْيُكَ؟ فَقَالَ شُرَحْبِيلُ: قَدْ عَلِمْتَ مَا وَعَدَ اللهُ إبراهيم فِي ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ مِنَ النُّبُوَّةِ فَمَا يُؤْمِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، لَيْسَ لِي فِي النُّبُوَّةِ رَأْيٌ، لَوْ كَانَ أمر

(١) تفسير القمي ١ / ١٠٢، وتفسير الصافي:١/ ٣٤٣.

(٢) تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام، المفيد، محمد بن محمد (٤١٣ هـ): ٢١، والمناقب (للعلوي) / الكتاب العتيق، العلوي، محمد بن علي بن الحسين، (القرن ٥): ١٥٦.

مِنَ أَمْرِ الدُّنْيَا أَشَرْتُ عَلَيْكَ فِيهِ، وَجَهِدْتُ لَكَ، فَقَالَ لَهُ الْأُسْقُفُ: تَنَحَّ فَاجْلِسْ فَتَنَحَّى شُرَحْبِيلُ فَجَلَسَ نَاحِيَةً. فَبَعَثَ الْأُسْقُفُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ الله بْنُ شُرَحْبِيلَ، وَهُوَ مِنْ ذِي أَصْبَحَ مِنْ حِمْيَرٍ، فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ، وَسَأَلَهُ عَنِ الرَّأْيِ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِ شُرَحْبِيلَ، فَقَالَ لَهُ الْأُسْقُفُ: فَاجْلِسْ، فَتَنَحَّى فَجَلَسَ نَاحِيَةً. فَبَعَثَ الْأُسْقُفُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ يُقَالُ لَهُ: جَبَّارُ بْنُ فَيْضٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ أَحَدُ بَنِي الْحِمَاسِ، فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ وَسَأَلَهُ عَنِ الرَّأْيِ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِ شُرَحْبِيلَ وَعَبْدِ الله، فَأَمَرَهُ الْأُسْقُفُّ فَتَنَحَّى فَجَلَسَ نَاحِيَةً. فَلَمَّا اجْتَمَعَ الرَّأْيُ مِنْهُمْ عَلَى تِلْكَ الْمَقَالَةِ جَمْعًا أَمَرَ الْأُسْقُفُّ بِالنَّاقُوسِ فَضُرِبَ بِهِ، وَرُفِعَتِ الْمُسُوحُ فِي الصَّوَامِعِ، وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ إِذَا فَزِعُوا بِالنَّهَارِ وَإِذَا كَانَ فَزَعُهُمْ لَيْلًا ضَرَبُوا بِالنَّاقُوسِ وَرُفِعَتِ النِّيرَانُ فِي الصَّوَامِعِ، فَاجْتَمَعَ - حِينَ ضُرِبَ النَّاقُوسُ وَرُفِعَتِ الْمُسُوحُ - أَهْلُ الْوَادِي أَعْلَاهُ وَأَسْفَلَهُ، وَطُولُ الْوَادِي مَسِيرَةَ يَوْمٍ لِلرَّاكِبِ السَّرِيعِ وَفِيهِ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ قَرْيَةً، وَعِشْرُونَ وَمِائَةُ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ الله ﷺ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الرَّأْيِ فِيهِ فَاجْتَمَعَ رَأْيُ أَهْلِ الْوَادِي مِنْهُمْ عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا شُرَحْبِيلَ بْنَ وَدَاعَةَ الْهَمْدَانِيَّ، وَعَبْدَ الله بْنَ شُرَحْبِيلَ الْأَصْبَحِيَّ وَجَبَّارَ بْنَ فَيْضٍ الْحَارِثِيَّ فَيَأْتُونَهُمْ بِخَبَرِ رَسُولِ الله ﷺ، فَانْطَلَقَ الْوَفْدُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْمَدِينَةِ وَضَعُوا ثِيَابَ السَّفَرِ عَنْهُمْ وَلَبِسُوا حُلَلًا لَهُمْ يَجُرُّونَهَا مِنْ حِبَرَةٍ، وَخَوَاتِيمَ الذَّهَبِ، ثُمَّ انْطَلَقُوا حَتَّى أَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عليه السلام، وَتَصَدَّوْا لَكَلَامِهِ نَهَارًا طَوِيلًا فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ وَعَلَيْهِمْ تِلْكَ الْحُلَلُ وَالْخَوَاتِيمُ الذَّهَبُ، فَانْطَلَقُوا يَتْبَعُونَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَكَانَا مَعْرِفَةً لَهُمْ، كَانَا يَجْدَعَانِ الْعَتَائِرَ إِلَى نَجْرَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَيَشْتَرُوا لَهُمَا مِنْ بَزِّهَا وَتَمْرِهَا وَذُرَتِهَا، فَوَجَدُوهُمَا فِي نَاسٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالُوا: يَا عُثْمَانُ وَيَاعَبْدَ الرَّحْمَنِ! إِنَّ نَبِيَّكُمَا كَتَبَ إِلَيْنَا بِكِتَابٍ فَأَقْبَلْنَا مُجِيبِينَ لَهُ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ سَلَامَنَا، وَتَصَدَّيْنَا لَكَلَامِهِ نَهَارًا طَوِيلًا فَأَعْيَانَا أَنْ يُكَلِّمَنَا فَمَا الرَّأْيُ مِنْكُمَا: أَنَعُودُ

أَمْ نَرْجِعُ؟ فَقَالَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وهو فِي الْقَوْمِ: مَا تَرَى يَا أَبَا الْحَسَنِ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام لِعُثْمَانَ وَلِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: «**أَرَى أَنْ يَضَعُوا حُلَلَهُمْ هَذِهِ وَخَوَاتِيمَهُمْ وَيَلْبَسُوا ثِيَابَ سَفَرِهِمْ، ثُمَّ يعودون إِلَيْهِ**»؛ فَفَعَلَ وَفْدُ نَجْرَانَ ذَلِكَ، وَوَضَعُوا حُلَلَهُمْ وَخَوَاتِيمَهُمْ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَسَلَّمُوا فَرَدَّ بِسَلَامِهِمْ ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَقَدْ أَتَوْنِي الْمَرَّةَ الْأُولَى وَإِنَّ إِبْلِيسَ لَمَعَهُمْ**». ثُمَّ سألهم وسألوه فَلَمْ تَزَلْ بِهِ وَبِهِمُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى قَالُوا لَهُ: مَا تَقُولُ فِي عيسى بن مَرْيَمَ؟ فَإِنَّا نَرْجِعُ إِلَى قَوْمِنَا وَنَحْنُ نَصَارَى يَسُرُّنَا إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا أَنْ نَعْلَمَ مَا تَقُولُ فِيهِ. فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «**مَا عِنْدِي فِيهِ شَيْءٌ يَوْمِي هَذَا، فَأَقِيمُوا حَتَّى أُخْبِرَكُمْ بِمَا يُقَالُ فِي عِيسَى**». فَأَصْبَحَ الْغَدُ وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1]. فَأَبَوْا أَنْ يُقِرُّوا بِذَلِكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله الْغَدَ بَعْدَ مَا أَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ أَقْبَلَ مُشْتَمِلًا عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فِي خَمِيلٍ لَهُ وَفَاطِمَةُ تَمْشِي عِنْدَ ظَهْرِهِ لِلْمُلَاعَنَةِ وَلَهُ يَوْمَئِذٍ عِدَّةُ نِسْوَةٍ؛ فَقَالَ شُرَحْبِيلُ لِصَاحِبَيْهِ: يَا عَبْدَ الله بْنَ شُرَحْبِيلَ وَيَا جَبَّارُ بْنَ فَيْضٍ قَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ الْوَادِيَ إِذَا اجْتَمَعَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلَهُ لَمْ يَرِدُوا وَلَمْ يَصْدُرُوا إِلَّا عَنْ رأي، وَإِنِّي وَالله أَرَى أَمْرًا مُقْبِلًا إِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مَلِكًا مَبْعُوثًا فَكُنَّا أَوَّلَ الْعَرَبِ طَعَنَ فِي عَيْنِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ أَمْرَهُ لَا يَذْهَبُ لَنَا مِنْ صَدْرِهِ وَلَا مِنْ صُدُورِ قَوْمِهِ حَتَّى يُصِيبُونَا بِجَائِحَةٍ وَإِنَّا لِأَدْنَى الْعَرَبِ مِنْهُمْ جِوَارًا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ نبيا مرسلا فلا عنّاه فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَّا شَعْرٌ وَلَا ظُفُرٌ إِلَّا هَلَكَ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبَاهُ: فَمَا الرَّأْيُ يَا أَبَا مَرْيَمَ فَقَدْ وَضَعْتَكَ الْأُمُورُ عَلَى ذِرَاعٍ، فَهَاتِ رَأْيَكَ، فَقَالَ: رَأْيِي أَنْ أُحَكِّمَهُ فَإِنِّي أَرَى رَجُلًا لَا يَحْكُمُ شَطَطًا

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٥٩-٦١.

أَبَدًا، فَقَالَا لَهُ: أَنْتَ وَذَاكَ. فَتَلَقَّى شُرَحْبِيلُ رَسُولَ اللهﷺ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ خَيْرًا مِنْ مُلَاعَنَتِكَ، فَقَالَ: «**وَمَا هُوَ**»؟ قَالَ شُرَحْبِيلُ: حُكْمُكَ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَيْلَتُكَ إِلَى الصَّبَاحِ فَمَهْمَا حَكَمْتَ فِينَا فَهُوَ جَائِزٌ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهﷺ: «**لَعَلَّ وَرَاءَكَ أَحَدٌ يُثَرِّبُ عَلَيْكَ**»! فَقَالَ شُرَحْبِيلُ: سَلْ صَاحِبَيَّ فَسَأَلَهُمَا، فَقَالَا لَهُ: مَا تَرِدُ الْوَادِي وَلَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ رَأْيِ شُرَحْبِيلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهﷺ: «**كَافِرٌ**» أَوْ قَالَ «**جَاحِدٌ موفق**».

فَرَجَعَ رَسُولُ اللهﷺ يُلَاعِنُهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ أَتَوْهُ فَكَتَبَ لَهُمْ هَذَا الْكِتَابَ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا كَتَبَ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ رَسُولُ اللهﷺ لِنَجْرَانَ إِذْ كَانَ عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ فِي كُلِّ ثَمَرَةٍ وَكُلِّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَسَوْدَاءَ وَرَقِيقٍ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ، وَتَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى أَلْفَيْ حُلَّةٍ مِنْ حُلَلِ الْأَوَاقِي فِي كُلِّ رَجَبٍ أَلْفُ حُلَّةٍ، وَفِي كُلِّ صَفَرٍ أَلْفُ حُلَّةٍ، وَمَعَ كُلِّ حُلَّةٍ أُوقِيَّةٌ مِنَ الْفِضَّةِ فَمَا زَادَتْ عَلَى الْخَرَاجِ أَوْ نَقَصَتْ عَنِ الْأَوَاقِي فَبِالْحِسَابِ، وَمَا قَضَوْا مِنْ دُرُوعٍ أَوْ خَيْلٍ أَوْ رِكَابٍ أَوْ عُرُوضٍ أُخِذَ مِنْهُمْ بِالْحِسَابِ، وَعَلَى نَجْرَانَ مُؤْنَةُ رُسُلِي، وَمُتْعَتُهُمْ مَا بَيْنَ عِشْرِينَ يَوْمًا فَدُونَهُ، وَلَا تُحْبَسُ رُسُلِي فَوْقَ شَهْرٍ، وَعَلَيْهِمْ عَارِيَةُ ثَلَاثِينَ دِرْعًا وَثَلَاثِينَ فَرَسًا وَثَلَاثِينَ بَعِيرًا إِذَا كَانَ كَيْدٌ وَمَعَرَّةٌ، وَمَا هَلَكَ مِمَّا أَعَارُوا رُسُلِي مِنْ دُرُوعٍ أَوْ خَيْلٍ أَوْ رِكَابٍ فَهُوَ ضَمَانٌ عَلَى رُسُلِي حَتَّى يؤَدُّوهُ إِلَيْهِمْ، وَلِنَجْرَانَ وَحَاشِيَتِهَا جِوَارُ اللهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَأَرْضِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَغَائِبِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ وَعَشِيرَتِهِمْ وَبِيَعِهِمْ وَأَنْ لَا يُغَيَّرُوا مِمَّا كَانُوا عليه وَلَا يُغَيَّرُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ وَلَا مِلَّتِهِمْ، وَلَا يغيّروا أسقف من أسقفيته وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، وَلَا وَاقِهًا مِنْ وُقَيْهَاهُ، وكلما تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ دِنْيَةٌ وَلَا دَمُ جَاهِلِيَّةٍ وَلَا يُحْشَرُونَ وَلَا يُعْشَرُونَ وَلَا يَطَأُ أَرْضَهُمْ جَيْشٌ، وَمَنْ سَأَلَ فِيهِمْ حَقًّا فَبَيْنَهُمُ النِّصْفُ غَيْرَ ظَالِمِينَ وَلَا مَظْلُومِينَ بِنَجْرَانَ، وَمَنْ أَكَلَ رِبًا مِنْ ذِي قَبَلٍ فَذِمَّتِي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ رَجُلٌ**

بِظُلْمٍ آخَرَ، وَعَلَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ جِوَارُ اللهِ عَزَّ وجل وذمة مُحَمَّدٍ رَسُول اللهﷺ أَبَدًا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ، مَا نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا فِيمَا عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُثْقَلِينَ بِظُلْمٍ»[1].

والملاحظ أن سياق هذه الرواية لا تختلف عن الروايات السابقة من جهة موضوعها، إلا أنها اختلفت من جهتين:

الأولى: أظهرت الرواية أن النبيَّﷺ هو الذي توجه بالدعوة إلى النصارى.

والثانية: أن النبيَّﷺ لم يكن دعوته مستجابة بشكل مباشر فذكرت الرواية أنه طلب إلى الوفد النصراني أن يمهلوه حتى يتنزل عليه بشأن عيسىعليه السلام، وهذا قد يصوِّر التلكؤ والضعف في جانب النبيﷺ وهذا لا يليق بمقام النبيﷺ، وكيف يدعوهم النبيُّﷺ إلى المباهلة وهو لا علم له بحقيقة عيسىعليه السلام؛ لأنه بحسب الرواية كان ينتظر أن يتنزل عليه (فَقَالَ رَسُولُ اللهﷺ: مَا عِنْدِي فِيهِ شَيْءٌ يَوْمِي هَذَا، فَأَقِيمُوا حَتَّى أُخْبِرَكُمَا بِمَا يُقَالُ فِي عِيسَى)، لذلك يمكن القول إنّ الرواية قد تكون ضعيفة.

الرواية الرابعة:

ذكر النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) في كتابه (أسباب نزول القرآن) رواية في أسباب نزول آية المباهلة، قال فيها: (أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَسَنِ الْحَافِظُ فِيمَا أَذِنَ لِي فِي رِوَايَتِهِ حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاعِظُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَاتِمٍ الْعَسْكَرِيُّ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مِهْرَانَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَدِمَ وَفْدُ أَهْلِ نَجْرَانَ عَلَى النَّبِيِّﷺ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، فَدَعَاهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَا: أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ، قَالَ: «**كَذَبْتُمَا إِنْ شِئْتُمَا أَخْبَرْتُكُمَا بِمَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ**»؟ فَقَالَا: هَاتِ أَنْبِئْنَا، قَالَ: «**حُبُّ الصَّلِيبِ، وَشُرْبُ**

(١) دلائل النبوة للبيهقي: ٥/ ٣٨٦-٣٨٩. وذكرها صاحب البحار

الْخَمْرِ، وَأَكْلُ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ»، فَدَعَاهُمَا إِلَى الْمُلَاعَنَةِ، فَوَعَدَاهُ عَلَى أَنْ يُغَادِيَاهُ بِالْغَدَاةِ فَغَدَا رَسُولُ اللهﷺ فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَبِيَدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا فَأَبَيَا أَنْ يُجِيبَا، فَأَقَرَّا لَهُ بِالْخَرَاجِ، فَقَالَ النَّبِيُّﷺ: «**وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَوْ فَعَلَا لَمُطِرَ الْوَادِي نَارًا**». قَالَ جَابِرٌ: فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿...فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾)[1].

هذه الرواية مع أنها تؤكد ما ذهبت إليها الروايات إلا أنها اختلف من جهتين أيضًا، الأولى إنّها نسبت إلى النبيّﷺ بعض الكلام الذي قد لا يناسب خلقه العالي ومن ذلك قوله لنصارى نجران: (كَذَبْتُمَا إِنْ شِئْتُمَا أَخْبَرْتُكُمَا بِمَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ) فقوله (كذبتما) لا يعتقد أنها صادرة عمّن ذكره القرآن بخلقه الكبير حتى مع أعدائه، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وأما الأمر الثاني: فقد ذكرت الرواية أن نصارى نجران لم يستجيبوا لحضور المباهلة (ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا فَأَبَيَا أَنْ يُجِيبَا) في الموعد المحدد، والروايات أكدت حضورهم ثم تنازلهم بدفع الجزية.

الرواية الخامسة:

ذكر النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) في كتابه (أسباب نزول القرآن) رواية أخرى في أسباب نزول آية المباهلة، قال فيها: (أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الزِّمْجَارِيُّ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مَالِكٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: جَاءَ رَاهِبَا نَجْرَانَ إِلَى النبيِﷺ، فَقَالَ لَهُمَا رسول اللهﷺ: «**أَسْلِمَا تَسْلَمَا**»، فَقَالَا: قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ، فَقَالَ:

(١) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان: ٦٦.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

«كَذَبْتُمَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ: [ثَلَاثٌ]: سُجُودُكُمَا لِلصَّلِيبِ، وَقَوْلُكُمَا: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَشُرْبُكُمَا الْخَمْرَ»، فَقَالَا: مَا تَقُولُ فِي عِيسَى؟ قَالَ: فسكت النبي صلى الله ﷺ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝٥٨ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، فَدَعَاهُمَا رسول الله ﷺ إِلَى الملاعنة، قال: وَجَاءَ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَفَاطِمَةَ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ عليه السلام. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: أَقْرِرْ بِالْجِزْيَةِ وَلَا تُلَاعِنْهُ، فَأَقَرَّ بِالْجِزْيَةِ. قَالَ: فَرَجَعَا فَقَالَا: نُقِرُّ بِالْجِزْيَةِ وَلَا نُلَاعِنُكَ. فَأَقَرَّا بِالْجِزْيَةِ)[1].

هذه الرواية وإن اختلف محقق الكتاب(كمال بسيوني زغلول) عن المحقق الأول (عصام بن عبد المحسن الحميدان)، إلاّ أنه اتفق مع صاحبه في ذكر الرواية بما لا يناسب مع الخلق الكبير لرسول الله في تكذيبه لهم بقوله (كَذَبْتُمَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ)، وهذا لا يليق بالنبيِّ ﷺ، ثم اختلفت مع الرواية الأولى بأن النصارى بعد خروجهم اتفقوا على المصالحة ودفع الجزية، في حين أن الرواية الأولى ذكرت أنهم لم يحضروا المباهلة أصلًا، إنما أرسلوا من يمثلهم ووافقوا على الجزية.

الرواية السادسة:

ذكر الرازي (ت٦٠٦هـ) في التفسير الكبير رواية أخرى في أسباب نزول آية المباهلة، قال فيها: (روي أنه عليه السلام لما أورد الدلائل على نصارى نجران، ثم إنهم أصروا على جهلهم، فقال عليه السلام: «**إنّ الله أمرني إنْ لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم**». فقالوا: يا أبا

(١) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تح: كمال بسيوني زغلول: ٦٧.

القاسم، بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب: وكان ذا رأيهم، يا عبد المسيح ما ترى، فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدًا نبي مرسل، ولقد جاءكم بالكلام الحقّ في أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيًّا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستئصال فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم وكان رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط من شعر أسود، وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ عليه السلام خلفها، وهو يقول، «**إذا دعوت فأمّنوا**»، فقال أسقُف نجران: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلًا من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، ثم قالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك فقال صلوات الله عليه: «**فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما على المسلمين**»، فأبوا، فقال: «**فإني أناجزكم القتال**»، فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا، على أن نؤدي إليك في كل عام ألفي حُلّةٍ: ألفا في صفر، وألفا في رجب، وثلاثين درعا عادية من حديد، فصالحهم على ذلك، وقال: «**والذي نفسي بيده، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولوْ لاعنُوا لمسخُوا قردةً وخنازيرَ، ولاضطرم عليهم الوادي نارًا، ولاستأصل الله نجران وأهله، حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتّى يهلكوا**».

وروي أنه عليه السلام لما خرج في المرط الأسود، فجاء الحسن عليه السلام فأدخله، ثم جاء الحسين عليه السلام فأدخله ثم فاطمة، ثم علي عليهما السلام ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾)[1].

(١) التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ): ٨/ ٢٤٧.

وهذه الرواية تتفق مع رواية القمّي، وزادت عليها بربطها نزول آية التطهير بمجلس المباهلة أيضًا، ولا مناسبة لإنزالها في ظروف المباهلة، بل الأمثل أن تكون نازلة قبل ذلك[1].

الرواية السابعة:

نقل السيد البحراني (ت١١٠٩هـ) في تفسير البرهان رواية أخرى مشابهة للرواية الأولى وأكد أنها من أسباب نزول آية المباهلة، إذ قال: (عن عليّ بن إبراهيم، قال: حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام: «**أن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وكان سيدهم الأهتم والعاقب والسيد، وحضرت صلاتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس، وصلوا، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، هذا في مسجدك؟ فقال: دعوهم. فلما فرغوا دنوا من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا له: إلى ما تدعونا؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأن عيسى عبد مخلوق، يأكل ويشرب ويحدث. قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: قل لهم: ما تقولون في آدم؛ أكان عبدا مخلوقا يأكل ويشرب ويحدث وينكح؟ فسألهم النبي صلى الله عليه وآله، فقالوا: نعم. فقال: فمن أبوه؟ فبهتوا وبقوا ساكتين، فأنزل الله:** ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾. **فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فباهلوني، فإن كنت صادقًا أنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذبًا نزلت عليَّ. فقالوا: أنصفت. فتواعدوا للمباهلة، فلما رجعوا**

(١) ينظر: كتاب سليم بن قيس الهلالي، الهلالي، سليم بن قيس (٧٦ هـ): ٢/ ٦٤٦، وتفسير القمي ٢/ ٦٧.

إلى منازلهم، قال رؤساؤهم السيّد والعاقبُ والأهتمُ: إن باهلنا بقومه باهلناه، فإنّه ليس بنبيٍّ، وإن باهلنا بأهل بيته خاصة فلا نباهله فإنّه لا يقدم على أهل بيته إلاّ وهو صادق، فلما أصبحوا جاءوا إلى رسول الله ﷺ ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال النصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: هذا ابن عمّه ووصيّه وخِتنهُ عليّ بن أبي طالب، وهذه ابنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين عليهما السلام. ففرقوا، فقالوا لرسول الله ﷺ: نعطيك الرضا فاعفنا من المباهلة. فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية وانصرفوا»)[1].

وهذه الرواية نجدها متطابقة مع الرواية الأولى إلا أن الراوي قد تغيَّر في بداية الإسناد ليتفق فيما بعد بإسناد الرواية إلى الإمام الصادق عليه السلام.

الرواية الثامنة:

جاء في تفسير نور الثقلين في أسباب نزول آية المباهلة مرفوعة إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، إذ ذكر الحويزي (ت١١١٢هـ): (عن على بن إبراهيم حدثني أبي عن النضر بن سويد عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله ﷺ وكان سيدهم الأهتم والعاقب والسيد، وحضرت صلوتهم فاقبلوا يضربون بالناقوس وصلوا، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله هذا في مسجدك؟ فقال: دعوهم، فلما فرغوا دنوا من رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إلى ما تدعونا؟ فقال إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله وأنّ عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث، قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله ﷺ، فقال: قل لهم: ما تقولون في آدم أ كان عبدا مخلوقا يأكل ويشرب ويحدث وينكح؟ فسألهم النبي ﷺ فقالوا: نعم، فقال: فمن أبوه؟ فبهتوا، فأنزل الله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن

(١) تفسير البرهان في علوم القرآن، السيد البحراني، سيد هاشم بن سليمان، مؤسسه البعثه، قم، ط١، ١٣٧٤هـ.

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾. **فقال رسول الله ﷺ: فباهلوني فان كنت صادقًا أنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذبًا أنزلت عليَّ؛ فقالوا: أنصفت، فتواعدوا للمباهلة، فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم السيّد والعاقبُ والأهتمُ: إن باهلنا بقومه باهلناه فإنّه ليس بنبيٍّ وإن باهلنا بأهل بيته خاصّة فلا نباهله، فإنّه لا يقدم على أهل بيته إلاّ وهو صادق، فلما أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال النصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: إنّ هذا ابن عمّه ووصيّه وخِتنهُ عليّ بن أبي طالب، وهذه ابنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين عليهما السلام ففرقوا وقالوا لرسول الله ﷺ: نعطيك الرضا فاعفنا عن المباهلة، فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية وانصرفوا»**[1].

وهذه الرواية هي عينها الرواية التي نقلها القمي في تفسيره، وإن لم ينسبها صاحب التفسير إليه.

ونلحظ على هذه الروايات اتفاقها على وحدة الموضوع واختلافها ببعض الجزئيّات التي قد لا تضرّ أصل الموضوع، وقد تكون رواية القمي وهي الرواية الأقرب إلى الواقع إن كانت رواية سليمان بن مقاتل أسبق منه، إلا إن رواية القمّي هي الأكثر تماشياً مع جوِّ الآية في رعايتها لأهمية الحدث، وتعبيراتها التي ناسبت خُلُقَ النبيِّ ﷺ، واهتمت بالتركيز على سبب النزول أكثر من تركيزها على تفاصيل أخرى.

(١) تفسير نور الثقلين: ١ / ٣٤٧.

المبحث الثاني

التحليل التداولي لآية المباهلة

المستوى التداولي الأول:

مستوى الإشاريّات:

وهو المستوى الأول الذي قدمه بيرس، ويتعلق بالعلامات الإشارية من مثل (أنا، هنا، الآن) والتي تتجلى في الأقوال وتتضح مرجعيتها في سياق الحديث، ولا يتضح إحالات هذه الرموز إلاّ من السياق الذي تُوظف فيه، فتتحد في إطار علاقة معينة بين المتخاطبين والزمان والمكان[1]، فالضمائر وإشارات الزمان والمكان تختلف إحالاتها بحسب استعمالها، وعلى هذا فيمكن أن ننظر إلى الإشاريَّات في آية المباهلة في اتجاهات ثلاثة وهي:

١ - إشارات شخصيّة:

واحدة من أهم الإشاريات في ميدان التداولية، لأنها تدل على المتكلم أو المخاطب أو الغائب، وقد تكون للمفرد أو المثنى أو الجمع، فالذات التي تلفظ الكلام تدلّ على المتكلم في السياق، وقد تصدر خطابات متعددة عن متكلمٍ واحد، وتتغيّر بتغيُّر

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٧٩.

السياق الذي يكون فيه، ويحيل إلى دلالات مختلفة[1]، ويعتمد على الكفاءة التداولية بين المتخاطبين، وإلا فقد لم يفهم قصد المتكلم من الإشارة.

وبالعودة إلى آية المباهلة نجد أنَّ إشاريّات الحضور والغياب حاضرة، وقد عملت على ربط السياق اللفظيّ بالمقام، ففي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ الخطاب من الله تعالى إلى حضرت النبيِّ ﷺ، والإشاريِّات في المقطع القرآني واضح أن هناك ضمائر متعددة ومنها في كلمة (فمن) حيث إن هناك إشارية متعلق بالاسم الموصول موجه إلى جماعة النصارى الذين ادعوا في عيسى عليه السلام ما لا يليق به، وكونهم أولى به، والحال أن الله ورسوله أولى بعيسى عليه السلام، والضمير (الكاف) في (حاجك) وهو من الضمائر المتصلة والمحال إلى الرسول ﷺ، والفاعل المستتر أيضًا فيه إشارية نصية يعرف عبر معرفة الاسم الموصول (من)، وضمير الغائب في (فيه) عائد نصيٌّ وهو عيسى عليه السلام، ولا يتضح إلا بالكشف عن سياق الآية مع ما تسبقها من المقاطع والآيات ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾.

فيظهر من ذلك أن الهاء في (فيه) عائد إلى عيسى عليه السلام، وأن هناك طرفان للخطاب وقد اختلفوا في أمره، فكشف السياق بحسب الإحالة الخارجية عَود الضمير إلى ما تقدم ذكره، وهناك ضمائر أخرى كالضمير الغائب في الفعل (فقل) للمخاطَب إذ فيه إحالة تداولية لكون المخاطب لم يذكر باسمه، وهو نبيُّنا ﷺ على ما يدل عليه الحال، ثم واو الجماعة في (تعالوْا)، فيه إحالة إلى النصارى، وكذلك هناك إحالات إشارية تداولية في قوله تعالى: ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾، وكأنه يقول (ندع نحن) فعند تعيينها بالمضاف إليه كما في: (أبنائنا، نسائنا، أنفسنا)، يقتضي مكانة ورفعة لمن سينالها ويكون في هذه المرتبة مع الله تعالى، ونبيِّه الأكرم ﷺ،

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٧٩.

وأما الضمائر الأخرى المتصلة والمنفصلة فهي ليست من الإشاريات لأنها لا تحيل إلى المقام الخارجي.

المستوى التداولي الثاني:

أولاً: متضمنات القول:

تشغل متضمنات القول بفرعيها (الافتراض المسبق، والأقوال المضمرة) حيّزًا كبيرًا من الدرس التداولي؛ باعتبار الأثر الواضح لها في مدِّ جسور التواصل بين المتكلم والمتلقي، والمعلوم أن أيَّة عملية تخاطبية بين شخصين أو أكثر لا يكون إلا بأن يتضمن جانبين من الكلام (الصريح والضمني) فأما الصريح فواضح من ظاهره، وأما الضمني فيستلزم قرائن للكشف عنها، ويمثل السياق أفضل تلك القرائن إفهامًا لحيثيات الكلام، والكلام الضمني يتكوّن من النمطين (الافتراض المسبق، والأقوال المضمرة)، وكلاهما قائم على التحليل الفلسفي، والذي يعدُّ أرضية التداولية بشكل عام[1]، وقد تضمنت آية المباهلة هذه الأنماط بشكل متميِّز، وعلى النحو الآتي:

١ - الافتراض المسبق:

يعبر عن جملة المعلومات التي لم يفصح عنها المتكلم[2]، وتظهر بوصفها بنية كلامية مصاحبة، وقد دلّت مضامين آية المباهلة على وجود افتراضات مسبقة فيها، وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، إذ تفترض الآية وجود جدلٍ قائم على أمر الرؤية الإسلامية لعيسى عليه السلام، بكونه عبدًا من عباد الله تعالى، وامتناع

(١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) مسعود صحراوي: ٣٠.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية: ١١٣.

مَن يدَّعون أنهم أتباعه عليه السلام؛ بل أن هذا الامتناع قد تجاوز حدوده إلى المعاندة والتكذيب الشديد فوصلوا إلى مرحلة الملاعنة والدعاء على الخصم، وهذه جرأة وعنادٌ لم يظهر عند غير هؤلاء من الجماعات، مشركةً كانت أو غير ذلك.

وقد ظهر عنادهم وإنكارهم مع علمهم به كما هو واضح في السياق القرآني ضمن الآيات التي جاءت بعد آية المباهلة، إذ قال تعالى: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، حيث نجد أن هذه الآيات تتعاضد لبيان موقف أهل الكتاب وسابق علمهم وإصرارهم على المخالفة والمحاجَّة.

٢- الأقوال المضمرة:

المرتكز الثاني الذي تستند إليها متضمنات القول هي الأقوال المضمرة، وتختلف عن الافتراض المسبق باعتبارها كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحويها، ويكون الوصول إليها بحسب المعطيات اللغوية، وتكون عادة غير ظاهرة؛ بل تتضح من سياق التأويل، فلا يمكن الاكتفاء بالمعاني المعجمية للكشف عنها، ويتحمل المتلقي مسؤوليّة تحليل النص للوصول إلى مقاصد المتكلم، وهذا يستلزم كفاية لغوية وتواصلية ومرجعية ثقافية لفهم السياق، وتأويل الحديث وبلوغ قصد المتكلم وكشف كنه النصّ، وعلى هذا فإنّ الأقوال المضمرة ترتبط بالخطاب ومقامه، وتنزع منزعًا مغايرًا للافتراض المسبق،

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٦٩-٧٣.

وقد تجلت في آية المباهلة بوضوح، إذ افترضت الآية وجود عدّة أقوالٍ مضمرة وعلى النحو الآتي:

١- ألَّا تحاجج من لم يطلب محاججتك.

٢- من يريد الحق يقدم بين يديه كل غالٍ.

٣- لا يوجد أناس أقرب إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله، رحمًا وعقيدة من هؤلاء: (علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام).

٤- الترتيب بذكر (الأبناء أولاً) وهي تسمية نسبية تحيل إلى أن الحق يتطلب التضحية بهم فعلى المطيع أن يفعل.

٥- الثقة بالله وبالنّفس في النّصر.

٦- تنزيه الله تعالى بتفرُّده وانفاذ أمره ﴿ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾.

٧- النبيُّ صلى الله عليه وآله اتصف بالأخلاق في الدعوة إلى دينه فحتى خصمه اللدود لا يرميه بالضلال والطرد من رحمة الله تعالى.

ثانياً: الحجاج:

توافرت الدلالات لبيان معنى الحجاج وتعددت، وأكثر العلماء ذكر أن الحجاج يكون بمعنى المخاصمة، وقد جاء في القرآن الكريم بهذا المعنى، إذ قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ... ﴾[1]، فقد دلّ الفعل (حاجّ) على دخول إبراهيم والنمرود في خصام وجدال، وفي تفسير هذه الآية الكريمة جاء (حاجة) بمعنى جادل[2]، وجاء عن مفهوم الحجاج عند العرب أنه من أرفع العلوم قدرًا وأعظمها

(١) من سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٢) ينظر: تفسير القمي: ١/ ٨٦.

شأنًا؛ لأنّه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال[١]، فالحجاج تقنية يقوم المتكلم بها ليوضح موقفه ويعلله أمام مخاطبه؛ بل إجراء يسلكه فرد أو مجموعة لدفع المستمع إلى تبني موقف اعتمادًا على إثباتات أو حجج أو براهين واضحة[٢]، وميدان الحجاج يعتمد على البلاغة، لذلك نسبها بعضهم إلى البلاغة الكلاسيكية التي كانت عند أرسطو أو عند فلاسفة الإسلام، وعزاها آخرون إلى بلاغة بيرلمان الحديثة، زيادة على ذلك فقد قال بعضٌ إنّ الحجاج يعتمد على منطق غرايس[٣].

وأما واضع نظرية الحجاج اللسانية فهو الفرنسي (ديكرو) وذلك سنة ١٩٧٣، الذي جعلها نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه بشكل يتناسب مع بلوغ غايته وأهدافه، وبذلك يمكن القول إن دراسة الحجاج يقوم على مبدأ الخطاب الهادف واستمالة الخصم بمختلف الاستدلالات الصورية التي تؤثر في المخاطب[٤].

وقد يعتمد الخطاب الحجاجيّ على التفسير، ويشترط فيه عدم تبني موقف على حساب آخر، ويقوم على توضيح مختلف المواقف المتخذة، ويتخذ موقف الحياد، ثم تسويغ اتخاذ موقف ما بعد ضمان صحة موقفه، ويقدم المخاطب على نفسه وسائل للحكم عليه؛ لأنه ينبغي لهذا الأخير أن يكون قادرًا إما على الاقتناع بالموقف المتخذ أو دحضه[٥]، وأما التفسير فيقوم بكشف دلالات النص بما يقتضيه ظاهره، فيظهر المعنى المباشر للفظ، من دون أن يخفي المفسر حقيقة الملفوظ.

وبالعودة إلى آية المباهلة نجدها قائمة على مبدأ الحجاج، فهناك فريقان تقابلا من

(١) ينظر: المنهاج في ترتيب الحجاج: ٨٠.
(٢) ينظر: التعريفات: ٤٨٢.
(٣) ينظر: الحجاج في اللغة: ٣٥٨.
(٤) ينظر: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: ٦٧.
(٥) ينظر: الحجاج وأشكال التأثير، ترجمة ربيعة العربي: ٣٠٠.

أجل المخاصمة والمجادلة في موضوع معيّن، ومثل الطرف الأول خير خلق الله تعالى النبيُّ محمد ﷺ ومعه أهل بيته الطاهرين ومنهم أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان في مقام نفس النبيِّ ﷺ، وفي المقابل كان هناك فريق نصارى نجران[1]، ودلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ ﴾، وموضوع الخلاف عيسى عليه السلام[2]، إذ قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾، ومن المناسب أن نشير إلى أنَّ الله تعالى كان مسلطا على ما في قلوب القوم ويعلم ما يدور في فلكهم، لذلك نجده يأمر نبيه الكريم بمباهلتهم وبشكل صريح بعد أن يئِسَ من دعوتهم إلى تصحيح مفاهيم عقيدتهم في نبيِّ الله عيسى عليه السلام، وكان كل فريق يحاول أن يثبت أدلته على متبناه[3]، وحينما انقطعت بهم السبل كان خيار المباهلة الحل الأنسب والذي انتهى كما تبيَّن بانتصار مبدأ النبيِّ محمد ﷺ، على نصارى نجران، وكان بذلك انتصارًا للإسلام والدين وعقائده لاسيما بالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

والجدير بالذكر أنّ عملية المحاجّة قد تناول مبدأ الحجاج وفقًا لمباني الحجاج، وتركز على مجموعة من الثوابت والوسائل الحجاجية ومنها الأفعال التي جاءت لتحاكي موضوعة المحاجة، وتبين الأقوال المحورية التي قام عليها الحجاج ومن هذه الأفعال: (تعالوا، ندع، نبتهل، نجعل)، إذ صوَّرت هذه الأفعال مشهدًا واقعيًا يتناسب مع جوِّ الآية المباركة.

ثالثاً: الاستلزام الحواري:

يمثل الاستلزام الحواري ركيزة أساسية من الركائز المعتمدة في التداولية؛ بل هو ألصق بالبحث التداولي من غيره، لأن هذه الركيزة تكون أبعد من غيرها عن الالتباس

(١) ينظر: تفسير مواهب الرحمن، للسيد عبد الأعلى السبزواري: ٦/ ٤.
(٢) المصدر نفسه: ٦/ ٤.
(٣) المصدر نفسه.

في الجانب الدلالي، ويعود نشأته إلى المحاضرات التي ألقاها غرايس عام ١٩٦٧م، في جامعة هارفارد، ثم طبعت هذه المحاضرات فيما بعد على شكل بحوث سنة ١٩٧٥م[١]، وأكد غرايس في محاضراته أنّ الاستلزام الحواري يقوم أساسًا على مبدأين هما (الاستلزام الخطابي، ومبدأ التعاون بين المخاطبين)[٢].

ولتوضيح مفهوم الاستلزام الحواري ذكر غرايس أن الناس في تبادلهم للحوارات في ما بينهم قد يقصدون ما يقولون، أو يقصدون أكثر مما يقولون، أو لا يقصدون ما يقولون، فبيَّن أن دراسته لهذا المفهوم يقوم على أيضاح الاختلاف بين ما يقال، وما يقصد، وأشار إلى أن ما يقال هو ما تعنيه حقيقة اللفظ، وأما ما يقصد فهو ما يريد المتكلم إبلاغه للمتلقي بشكل غير مباشر، مع توافر القرائن التي تساعد على فهم المراد[٣]، وهذا الذي يعرف بمبدأ التماهي أو التعاون بين المتخاطبين.

وفرَّق غرايس بين المعنى الدلالي، والمعنى التداولي للجملة، فذكر أن المعنى المعنى الدلالي هو المعنى المعجمي مضاف إليه العلاقات النحوية واصطلح على تسميته بالفعل اللّغوي المباشر، وأما المعنى التداولي فهو المعنى الذي يستلزمه الحوار بين متكلم ومستمع، ولهذا المعنى قوة إنجازية يتمثل بالفعل الأدائي، فالمتكلم بذلك ينجز في أثناء الكلام فعلاً أدائيًا صريحًا أو ضمنيًا[٤].

ويقوم الاستلزام الحواري على انتهاك عناصر مبادئ التعاون الحواري التي يتبعها المشتركون في الحوار، وهي على النحو الآتي[٥]:

١ – مبدأ الكم: وهو بمعنى أن يجعل المتكلم إسهامه على قدر المطلوب لا أكثر ولا أقلّ.

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٢.

(٢) ينظر: علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني: ٥٤.

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٣.

(٤) ينظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها المعاصرة: ١٨٧.

(٥) ينظر: التداولية عند علماء العرب: ٣٤.

٢- مبدأ الكيف: ويقوم هذا المبدأ على ألاّ يقول المتكلم شيئًا وهو يعتقد أنه خطأ، وألاّ يقول شيئًا صحيحًا ولا يملك دليلًا عليه.

٣- مبدأ المناسبة: وهو ألا يبتعد الخطاب عن الموضوع الذي يدور بين المتخاطبين؛ لأنّه قد يتشعب إلى فروع تبتعد عن الأصل الذي كان عليه الموضوع.

٤- مبدأ الطريقة: ويراد به الوضوح في الكلام والابتعاد عن اللبس، وتحرِّ الإيجاز والترتيب.

وإذا تأملنا في آية المباهلة نجد أنَّ هناك ظواهر لهذه المبادئ، فمثلًا في باب الكم نلحظ أن النص القرآني الذي عبّر عن لسان حال المتكلم وهو النبيُّ ﷺ، كرَّر بعض المسميات لأغراض بيانيّة وتوكيديّة، إلا أن ذلك يُعد في الاستلزام الحواري خرقاً لمبدأ الكم بالزيادة، إذ جاء تكرار (الأبناء، والنساء، والأنفس)، ولو أمعنَّا النظر في ذلك لوجدنا أنها جاءت من باب الإطناب للبيان والتوكيد والتخصيص، ويستحسن الإطناب في مواضع معينة[1]، وخاصة في مواضع البيان الذي لا يناسبه الإيجاز المخل، وهذا وإن عدَّ عند التداوليين من الزيادة، إلا إنها ذات فائدة كبيرة للتوكيد، وعلى هذا فان الأمر ناسب البحث التداولي لبيان علة التكرار لهذه المسميات التي قد يتصوّر بعضٌ بأنه كان بالإمكان أن تستعاض فحسب بقول: (فقل تعالوا نتباهل)، أو بقول: (فقل تعالوا ندع أبناءنا ونساءنا وأنفسنا...)، ولو كان كذلك لأشتبه الأمر عليهم من جهة من يحضر المباهلة، فجاء التكرار للبيان والتوكيد والتخصيص، لذلك فان الروايات التي ذكرت في أسباب النزول أن هناك من حضر مع النبيِّ ﷺ، غير من خصصهم النص القرآني، تكون ضعيفة بدليل التكرار الذي خصص الحضور، علما أن عناصر الحضور كانت لافتةً للنظر عند الطرف الآخر وهم نصارى نجران، وقد قيَّدوا إجراء المباهلة بمن

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، خطيب دمشق: ١/ ١٨٦.

يحضر، فلما وجدوا أن النبيَّ ﷺ قدم أعزّ الناس إليه (عليًّا، وفاطمة، والحسنين عليهم السلام)، أدركوا خطورة الأمر، فعمدوا إلى عدم المباهلة، واضطروا إلى دفع الجزية[1].

ومن جانب آخر فقد نجد أن هناك خرقاً لمبدأ الكم بالنقصان أيضًا بحسب التداوليين، إذ يقولون: (أن يكون إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار)[2] ففي قوله تعالى: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ ﴾ نجد أن هناك بحسب رؤية التداوليين كلامًا محذوفًا، لأن أصل الكلام عن الطرفين فكان يناسب المقام أن يقول تعالى على لسان نبيه الكريم ﷺ، مثلا على سبيل الحكاية: (فقل تعالوا نحن وايّاكم ندع...)، ولكن الدلالة واضح من سياق النص، فكان الخيار هو الحذف، وكذلك أيضا قد نجد ذلك في ذيل الآية المباركة، إذ قال تعالى على لسان نبيه الكريم: ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾، وهذا خرق لمبدأ الاستلزام الحواري أيضًا لكونه لم يحدد الكاذبين الذين يستحقون اللعنة، إلا أن الباحث يجد أن المقام مقام الحذف لوضوح الأمر بقرينة السياق ودلالته، وقد راعى سبحانه وتعالى بذلك كثيرًا من الجوانب اللغوية التي كانت عند العرب الذين نزل القرآن بساحتهم.

وكذلك فقد نجد في الآية المباركة ما يخالف قوانين التداوليين من باب خرق مبدأ المناسبة، كما نلحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾، إذ كان بحسب المتوقع أن يكون الجوابُ على المشككين والمنكرين من نصارى نجران هو الردَّ عليهم بالقول أيضًا، ولم يكن بالحسبان ان يتغير الموضوع إلى موضوع آخر، وهو جمع المشار إليهم في الآية وانتقال الموضوع من موضوع جدال ومحاججة في عيسى عليه السلام إلى موضوع الملاعنة بين الفريقين، وهذا الانتقال بحسب رؤية التداوليين يكون فيه

(١) ينظر: بحار الأنوار: ٢١ / ٢٨٥.

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٩٦.

خرقاً لمبدأ المناسبة الذي يراد به وحدة الموضوع، والذي ينبغي أن يكون معلوماً أن هذا الانتقال في النص لم يكن إلا بعد محاورات ومناقشات بين الفريقين، ولمّا يئِسَ النبي ﷺ من دعوتهم، أمره ربه بدعوته إلى الملاعنة، باعتبارها وسيلة للوصل إلى نتيجة حتميّة بين الفريقين، وهذا أيضًا قد يكون من المبادئ التي راعى فيها سبحانه وتعالى بعض أساليب العرب.

المستوى التداولي الثالث: أفعال الكلام:

فعل الكلام أو(فعل القول): هو الفعل الذي ننجزه بمجرد تلفظنا لبعض الكلمات، والقول أو الخطاب قد يكون مباشراً أو تلميحيًا فأما المباشر فهو الذي يقصد به الأفعال الكلامية المباشرة[1]، وأما التلميح فهو الفعل الكلامي غير المباشر بحسب تصنيف أوستين وتلميذه سيرل[2]، واقترح أوستين خمسة أقسام للفعل الكلامي[3] وهي على النحو الآتي:

١- الحكميات: وتتمثل في الحكم نحو التبرئة، الإدانة، الفهم، إصدار أمر، الإحصاء، التوقع، التصنيف، التشخيص، الوصف...الخ.

٢- التنفيذيات: وتقضي بمتابعة أعمال مثل الطرد، العزل، التسمية، الاتهام، الاستقالة، التوسل...وتندرج التنفيذيات في ضمن الصنف الأول فهي أعمال تنفيذ أحكام ولكنها ليست في حدّ ذاتها حكميات.

٣- الوعديَّات: وتسمى كذلك الإلزاميات أو أفعال التكليف؛ لأنها تلزم المتكلم بإنجاز فعل معيّن مثل: الوعد، الموافقة، التعاقد، العزم، النية...الخ.

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري: ٣٧.

(٢) ينظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر حباشة: ٦٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

٤- السلوكيات: والهدف منها هو إبداء سلوك معيّن يتفاعل مع أفعال الغير، مثل الشكر والاعتذار وتقديم التهاني والتعازي والقسم والتحدي.

٥- العرضيات: وتسمى كذلك (التفسيريات) الهدف منها الحجاج والنقاش والتبرير، وتختص بعرض مفاهيم منفصلة مثل التأكيد، النفي، الوصف، الإصلاح...إلخ.

ولم يزد سيرل على أستاذه أوستين إلا بعض المقترحات التي نظم بها افكار أستاذه، فجعل الفعل الكلامي على أقسام تندرج أكثرها في ضمن تصنيف أوستين مثل(بفعل التلفظ، الفعل القضويّ، الفعل الانجازيّ، الفعل التأثيريّ)[1]، وبالعودة إلى آية المباهلة نجد بعض الأفعال الكلامية التي سبق بيانها قد وردت فيها، ومنها:

أولا: الفعل القولي (قُلْ)، فعل قولي تنفيذي، فيه أمر بالامتثال إلى العمل، وإيجاد حالة جديدة، ويتبيَّن فيه أنّ الآمر جديرٌ بأن يأمر والمأمور جديرٌ بأن يمتثل لما أمر به، واتجاه الفعل من القول إلى العالم به، وهو فعل مباشر، فكان إيقاع الحالة بعد ذلك (تعالوْا): والمتكلم رسول الله ﷺ، والأمر مباشر لإيجاد حالة الاستعداد للمباهلة.

ثانيا: الفعل القولي (ندع، نجعل) أفعال قولية تنفيذية أيضًا، يتمثل دلالتهما في العرض، إذ إنّ السياق المقامي يتطلب انجاز العرض، وهو طلب أمرٍ بلين ورفق، وهذا ناسب المقام وأسلوب الدعوة إلى الله تعالى، ومع إنكارهم فان النتيجة هي الملاعنة التي اتضحت بالفعل(ندع)، وهي دعوة من تضمنتهم الآية المباركة، وسوف تختم بلعن فريق منهما ﴿ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾.

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ١٢٣.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة العلمية بين أسباب النزول، والتّحليل التداوليّ لآية المباهلة العظيمة، يتبيَّن بالبحث أن مجموعة الروايات التي نقلت في أسباب نزول الآية المباركة وإنْ كانت متفقة في الغالب إلا إنها تعرضت إلى التغيير والتحريف، فبعض الروايات التي نقلت في أسباب نزولها حاولت أن تزيد في أعداد الذين كانوا بصحبة النبيِّ ﷺ من أزواجه، وكذلك بعض الروايات الأخرى حاولت التقليل من شأن الموضوع بعرضه بشكل مختصر دونما اكتراث لأهمية الحدث أو محاولة التقليل من فضائل من حضر مع النبيِّ ﷺ فحاول البحث تصحيح المعلومة والإشارة إلى الرواية التي قد تكون هي أصحُّ الرّوايات ومرجعها، وهي رواية القمي التي كانت من الروايات القريبة إلى الحدث من جهة البعد الزمنيّ، وكذلك السند المعتبر المنقول عن الإمام المعصوم عليه السلام.

ومن جهة أخرى فقد كشف التحليل التداولي عن منهجية الإسلام بوصفه شريعةً لها القدرة على استيعاب الآخر، ومحاولة توجيهه للرجوع إلى الحق وعدم التمادي في الباطل، وبيان الوسائل المنتظمة لتحقيق ذلك وبحسب المصلحة، ذلك أن التحليل التداولي للخطاب القرآني يتسم بخصوصية فريدة، مختلفة عن باقي النصوص التي قد تكون فيها الصيغ التداولية هي الحاكمة للنصوص، أما مع القرآن فالأمر مختلف، كون القرآن هو الحاكم، والتعويل على صدق الروايات الواردة في أسباب النزول أو كذبها يعتمد على قربها من الرؤية القرآنية أو بعدها عنها، والسياق كشف عن أنَّ عليًّا، وفاطمة، والحسنينِ عليهم السلام هم المعنيُّون بـ(الأبناء والنساء والأنفس) في آية المباهلة، فلا يصحّ دخول غيرهم فيها.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط٢، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.

٣. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ هـ، عدد الأجزاء: ١.

٤. استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤ م.

٥. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م.

٦. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، لمحمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، ٢٠٠٢م.

٧. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني المعروف بخطيب دمشق (ت٧٣٩هـ)، تح: محمد عبد المنعم، دار الجبل، بيروت لبنان، ط٣، د ت.

٨. تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء، المغرب)، (بيروت، لبنان)، ط٢، ٢٠٠٥ م.

٩. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٣م.

١٠. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
١١. التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر حباشة، دار الحوار، سورية – اللاذقية، ط١، ٢٠٠٧ م.
١٢. التعريفات، للجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تح: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٢م.
١٣. تفسير البرهان في علوم القرآن، السيد البحراني، سيد هاشم بن سليمان، مؤسسه بعثه – قم، ط١، ١٣٧٤هـ.
١٤. تفسير الصافي الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى(ت١٠٩١هـ)، مكتبه الصدر، طهران، إيران، ط٢، ١٤١٥هـ.
١٥. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي(ق٣)، دار الكتاب، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ.
١٦. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت١٥٠هـ)، عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط١ – ١٤٢٣هـ.
١٧. تفسير مواهب الرحمن، للسيد عبد الأعلى السبزواري، دار التفسير، قم المقدسة، ٢٠٠٧م.
١٨. تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام، المفيد، محمد بن محمد(ت٤١٣هـ)، الناشر: مؤتمر الشيخ المفيد، إيران؛ قم، ١٤١٣هـ، ط١.
١٩. الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، اشراف حمادي صمود، كلية الآداب جامعة منوبة، تونس، د ط، د. ت.
٢٠. الحجاج وأشكال التأثير، باتريك شارودو، ترجمة ربيعة العربي، د ت، د.ط.
٢١. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.
٢٢. الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٢

٢٣. شرح نهج البلاغة، لابن أبي حديد المعتزلي(٦٥٥هـ)، تح: محمد عبد الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٧١م.
٢٤. العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، الزاوي بغورة، علم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس ٢٠٠٧، العدد ٣، المجلد ٣٥، ١٩٩.
٢٥. عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، دار افريقيا للشرق، المغرب، د ت.
٢٦. كتاب سليم بن قيس الهلالي، الهلالي، سليم بن قيس(ت٧٦هـ)،إيران، قم، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢٧. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٢٨. المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينيكو، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي (الرباط)، د ت، د ط.
٢٩. المناقب، (الكتاب العتيق)، العلوي، محمد بن علي بن الحسين، (القرن٥هـ)، إيران؛ قم، ط١، ١٤٢٨ هـ.
٣٠. المنهاج في ترتيب الحجاج، للحافظ أبو الوليد الباجي، تح، عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط٣، د ت.